NASS
مـــركـــز نـــون للدراســـات الاستـراتيـجيـة
Noon Association for Strategic Studies

رؤيـــة تـحليليـــة

# ريكس تيلرسون في بغداد .. زيارة غير مُعلنة ضمن جولة شرق أوسطية

مركز نون

وحدة تحليل السياسات

24 اكتوبر/ تشرين الأول 2017

Noon Association for Strategic Studies
info@nooncenter.org
www.nooncenter.org

بعد اللقاء الذي جمعه برئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي في الرياض وبحضور العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز، يوم الأحد الماضي 22-أكتوبر- 2017، والحديث العميق الذي أنطوى عليه محور اللقاء، هبط وزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون في مطار بغداد الدولي، في زيارة غير معلنة، وغير مُجدولة في أجندته أمس الأثنين 24 من أكتوبر الجاري، ليعقد ثاني اجتماع له خلال يومين مع رئيس الوزراء حيدر العبادي، والذي أنطوى على مسألتين مُهمتين ضمن حسابات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العراق والمنطقة، الأولى تتعلق بالأزمة الحالية مع أقليم كردستان – العراق، بينما أنصرفت الثانية إلى التركيز على الجهود التكتيكية التي تبذلها السياسة الخارجية الأمريكية ضمن الإطار العام لأستراتيجية ترامب في مواجهة إيران ونفوذها في منطقة الشرق الأوسط .

فيما يتعلق بازمة كردستان– العراق، مع الحكومة الأتحادية في بغداد، أشار وزير الخارجية الامريكي الى ضرورة أن يكون التعامل ما بين الطرفين مُستنداً على اساس الحوار والتعاون المتبادل بينمهما، بما يفضي ألى إستقرار العراق ككل، إذ جاءت الزيارة المُفاجئة بعد تراكم التوترات ما بين الطرفين، أثر صدور مُذكرات أعتقال متبادلة ما بين بغداد وأربيل ولشخصيات سياسية من كلا الطرفين، لتصل الأزمة الى مرحلة حرجة جداً، وحساسة بذات الوقت، لاسيما بعد أعلان سُلطات أقليم كردستان العراق، عن تحشدات عسكرية جديدة تدفع بها بغداد الى الجهة الشمالية والشمالية الغربية من الموصل، وبالتحديد في منطقة فيشخابور، حيث المعبر الحدودي مع تركيا، ضمن المثلث العراقي التركي السوري، فضلاً عن مناطق أخرى تمر عبرها أنابيب تصدير النفط من أقليم كردستان – العراق، الأمر الذي دفع بوزير الخارجية الأمريكي الى زيارة غير مُجدولة الى بغداد، للتباحث بترتيبات مُعينة تحول دون وقوع أي تشابك قتالي ما بين الطرفين قد يزيد الأزمة عمقاً، وضمن ذات السياق تبادلا الحديث أيضاً بشكل مُفصل حول موضوع الإجراءات الحكومية الخاصة بموضوع تواجد السلطة الاتحادية في كركوك إضافة إلى الأوضاع السياسية والأمنية بشكل عام، مؤكداً على ضرورة أعادة بوادر الحوار ما بين الطرفين الى مضامين جديدة تؤسس لعراق مستقر خالٍ من أي أزمات داخلية، مُشدداً بذات الوقت في لقاء أخر مُستقل مع السيد رئيس الجمهورية فؤاد معصوم،على حرص واشنطن على وحدة العراق وإستقراره،

وبما يؤسس لدور خارجي فاعل له ضمن الإطار العام لأستقرار منطقة الخليج العربي، وأمتدادها الأوسع نحو الشرق الأوسط.

أما المسألة الثانية والتي لا تقل أهميةً عن الأولى، فيما يتعلق بالزيارة المفاجئة لتيلرسون الى بغداد، فهي مسألة الميليشيات والحشد الشعبي، لاسيما بعد صدور تصريحات من مكتب السيد رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، بعدم أحقية أي جهة في التدخل بالشؤون الداخلية للعراق، على أثر حديث تيلرسون غداة لقائه العبادي في الرياض، ودعوته "جميع المقاتلين الأجانب" و"الميليشيات الإيرانية" للعودة إلى بلادهم، وهو ما دفع بالعبادي الى الإستغراب من التصريحات المنسوبة لوزير الخارجية الأمريكي حول الحشد الشعبي"، مؤكدا أنه "لا يحق لأي جهة التدخل في الشأن العراقي"، وهو ما أوضحه في لقائه أمس بتيلرسون في بغداد، بالقول "أن المقاتلين في صفوف هيئة الحشد الشعبي هم عراقيون وطنيون قدموا التضحيات الجسام للدفاع عن بلادهم وعن الشعب العراقي، وإن الحشد مؤسسة رسمية ضمن مؤسسات الدولة" ، بالرغم من إدراكه أن المرحلة المقبلة لها حسابات جديدة وفق السياق الامريكي الجديد للتعامل مع العراق ضمن منطقة الشرق الأوسط.

والجدير بالذكر، أن وزير الخارجية الأمريكي هبط في بغداد بشكل مفاجئ، في ظل جولة شرق أوسطية يُجريها تماشياً ما رغبات الولايات المتحدة طبقاً لمخططاتها المرحلية تجاه منطقة الشرق الأوسط برمتها، ذلك أنه بعد ايام قليلة من إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إستراتيجيته بشأن إيران وبالتحديد يوم الجمعة المصادف 13 اكتوبر 2017، خططت وزارة الخارجية الأمريكية لجولة رسمية لبعض الدول الشرق أوسطية يؤديها وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ذاته، ريكس تيلرسون، لتشمل كل من المملكة العربية السعودية، قطر، أفغانستان، الهند، وباكستان، وعلى مدى 6 ايام، تبدأ من 21 أكتوبر، بالرياض، مروراً بالدوحة 22 أكتوبر، ومن ثم كابول، ونيودلهي، وأنتهاءً بأسلام أباد.

تتمحور أبعاد الجولة الشرق أوسطية التي يجريها تيلرسون في مواضيع مهمة على صعيد التخطيط الإستراتيجي الأمريكي، تتقدمها مسألة مواجهة النفوذ الإيراني لتطويق وعزل تأثير إيران في منطقة الشرق الأوسط، ومسألة الأزمة القطرية، وأزمة اليمن وكذلك سوريا، فضلاً عن ترتيبات

تتعلق بالشرق الأوسط بأمتداده الجيوستراتيجي تجاه الشرق الأقصى من جهة أفغانستان وباكستان والهند الصين، لإحكام الطوق تجاه كوريا الشمالية وتجاربها النووية والصاروخية. ذلك أن زيارة تيلرسون للمملكة العربية السعودية كانت واضحة المعالم، لاسيما عندما تزامنت مع الزيارة الرسمية التي أجراها رئيس الوزراء العراقي د.حيدر العبادي، وأقترنت بأجتماع ثلاثي أمريكي- سعودي- عراقي، شبهه البعض بالرعاية الأمريكية لتجسيد تقارب جديد يجمع بغداد بالرياض، ضمن مسعى أمريكي لتقييد نفوذ إيران في المنطقة، إنطلاقاً من العراق، بعده خط التماس الأول، على حد وصف مستشار الأمن القومي الأمريكي هربرت رايموند مكماستر، بترجيحه السعودية على أنها قد تلعب دوراً محورياً في تقييد التاثير الإيراني عبر العراق، ومن خلال الأرتقاء بالعلاقة الإستراتيجية بينهم إلى مصاف أعلى، دون أغفال التحديدات التي تعيق هذه الخطوة بذات الوقت. وهو ما تم السير بموجبه مبدئياً، بالزيارات الرسمية المتبادلة ما بين العراق والمملكة العربية السعودية، تلاها توقيع مُذكرة تأسيس المجلس التنسيقي الأعلى بين البلدين، وفتح قنصلية سعودية في بغداد، إضافة الى السفارة السعودية المتواجدة هناك، والأتفاق على تعزيز منحنى الصعود في العلاقة ما بين البلدين، والعمل الجاد على إستدامة تلك العلاقات في المستقبل، وهو ما عبر عنه كلا الجانبين العراقي، ممثلاً برئيس الوزراء د.حيدر العبادي بالقول، "ستجمعنا الشراكة من أجل التنمية والأمن في منطقة الشرق الأوسط"، والعاهل السعودي بالقول، "تربطنا بالعراق روابط الأخوة والدم والمصير المشترك، ونحن على استعداد لدعمه بأتجاه الأستقرار الامني والأقتصادي". ليعطي كل ذلك الدفع بخطوات التعاون الأستراتيجي المتبادل أمنياً وأقتصادياً إلى الأمام، ما يعني محاولة جادة لتثبيت تقييداً تدريجياً للنفوذ الإيراني في العراق، وأمتداده في دول المنطقة.

وهكذا كان حال إيران أمس أيضاً، عندما أشار نائب الرئيس الأمريكي مايك بنس، بأصابعه الى إيران على أنها تقف وراء تفجير مقر المارينز الأمريكي في بيروت قبل 34 عاماً، وبالتحديد في العام 1983، عبر وكيلها "حزب الله" اللبناني، مُضيفاً أن الأعتداء كان بأوامر من الحرس الثوري الإيراني ، وهي أكثر الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية دموياً منذ هجوم بيرل هاربور عام 1941 من قبل القوة الجوية اليابانية، بحسب قوله، وبأن قادة إيران يعملون على تمويل وتسليح الميليشيات لخلق زعزعة للأستقرار في العالم، مُسترسلاً بالقول، أن

أستخدام إيران للهجمات الأرهابية يُحتم على العالم بأسره مواجهتها، و وكلائها، خاتماً حديثه بعبارة "لن نسمح لإيران بزعزعة إستقرار دول المنطقة".

وعلى الرغم من كم المصالح الأمريكية المُترتبة على التواجد الأمريكي بابعاده الأستراتيجية في أفغانستان، لاسيما القواعد الأمريكية هناك، ألا أن مضمون زيارة تيلرسون لأفغانستان لا يتعدى الترتيبات الخاصة بأمرين، تضمنَ أولهما، التشديد على أحكام إستراتيجية الطوق وقطع النفوذ تجاه إيران من جهة الشرق، بينما أنصرف ثانيهما، الى القضاء على التيارات الإسلامية المُتشددة، ومنع اي تنسيق أو تواصل إيراني معها، وهو ما يدور بمُجمله ضمن الإطار العام للاستراتيجية الجديدة للرئيس دونالد ترامب وجدية أدائه المستند الى القوة الصلبة Hard Power في مواجهة النفوذ الإيراني وتحجيمه داخل إيران، وهو ما عبر عنه أمس نائب الرئيس ترامب "مايك بنس" بصورة شبه مباشرة بالقول، "إن قيادة الرئيس دونالد ترامب تضاعف جهودنا بمواجهة حزب الله، بعده أحد أذرع النفوذ الإيراني في المنطقة، مُضيفاً، أن مسؤوليتنا الأساسية هزيمة الشبكات الارهابية والتي لا تزال تزعزع أمن الشرق الأوسط". والجدير بالذكر أن ترامب كان قد أوعز بضرورة إدراج الحرس الثوري الإيراني ضمن المنظمات الأرهابية عالمياً، ضمن محاولة ترمي الى إعادة النظر بالأتفاق النووي الإيراني ذاته، كورقة ضغط قوية، تدفع بطهران إلى تغيير سلوكياتها الخارجية في المنطقة، والتي لا تحضى بقبول واسنطن وسواها من دول ذات المنطقة.

تعد الأزمة الخليجية ما بين قطر ودول الأزمة الاربعة "السعودية- الأمارات – مصر – البحرين" المحطة الثانية التي مرت بها عجلة الخارجية الأمريكية، ضمن جولة ريكس تيلرسون، في مسعى جاد لكسر الجمود ما بين أطرافها، أملاً في حلحلتها، على الرغم من عدم تفائل تيلرسون كثيراً في هذا الشان، ففي تصريح سابق لجولته الخاصة بالرياض والدوحة، عبر عن ذلك بالقول " لا أتوقع التوصل إلى حل سريع بخصوص الأزمة الخليجية"، وهي إشارة واضحة على صعوبة بدء الحوار في ظل الأشتراطات الموضوعة من قبل أطرافها لاسيما الدول الاربعة، إلا أن رغبة الأدارة الامريكية الحالية بضرورة الإسراع في حل الأزمة الخليجية، ربما سيدفع إلى تهيئة ظروف ومعطيات جديدة تقود الى بوادر حلحلة الأزمة بشكل تدريجي، لاسيما وان إعادة توحيد دول مجلس التعاون الخليجي ككل، بالضد من إيران ، سيضمن قيداً جديداً لواشنطن تجاه طهران ضمن حسابات

إستراتيجية السياسة الخارجية الأمريكية، وتوجهاتها العامة بالضد من النظام الإيراني، كونها ستفوت الفرصة على طهران من شق الصف الخليجي ورغبتها في دعمه بنفوذ تدريجي يمخر عباب ذات الشقوق.

وإزاء ما تقدم، يضحى واضحاً إن الإدارة الأمريكية بادائها الجديد المدعوم بتيار "مايك بنس-ليون بانيتا-ريكس تيلرسون-ماكماستر" تتطلع الى تنفيذاً أدائياً لأجراءات عامة أنطوت عليها إستراتيجية الرئيس دونالد ترامب للحد من نفوذ إيران وتدخلاتها بدول المنطقة عبر سلوكها السياسي الخارجي، إلا أن المُتغيرات الكثيرة التي تعجُ بها منظومة الشرق الاوسط، والمصالح المتشابكة للقوى الدولية والأقليمية فيها، تدفعنا وبرؤى موضوعية إلى التساؤل الأفتراضي الأتي؛ هل ستنجح فرص وأدوار وصور الأداء الإستراتيجي الأمريكي الجديد هذه المرة تجاه إيران ومشروعها الأقليمي في المنطقة، أم أن كوابحاً وقيوداً تنتظر تعويق الأداء الأمريكي بمهمته الجديدة تجاهها، وهو ما سيتضح في ثنايا ومفردات الخطوات الأمريكية المقبلة، فضلاً عن تلك التي تشكل رد فعل إيرانياً تجاه الأفعال المتخذة ضدها، فضلاً عن دور القوى الدولية الأخرى أيضاً، كروسيا والصين، ومواقفها المقبلة تجاه المضمون ذاته.